

استهلال *

الشاعرة العربية أمل الجبوري ولدت في بغداد لعائلة عراقية عريقة ، وكانت قبل عام من تخرجها في كلية الآداب - اللغة¹

الانكليزية قد اصدرت مجموعتها الشعرية البكر ((خمر الجراح)) لتكون بمثابة الإعلان عن ولادة شاعرة سليلة إرث شعري يمتد إلى أولى النصوص التي كتبت في العالم أجمع ألا وهي آداب وادي الرافدين . إلا أنها انجبت بعد ثمانية اعوام مجموعتها الشعرية الثانية " اعتقيني أيتها الكلمات " سنة 1994 ، وهو ماجعلها تحقق في ذلك المنجز أثراً واضحاً انتبه إليه النقاد والشعراء المعروفون في العالم العربي ، وكان أبرز هؤلاء الناقد الكبير جبرا ابراهيم جبرا ، الذي يعتبر أبرز من قدم شكسبير وفوكنر إلى القارئ العربي ، وقد أعلن في مقدمته التي وشحت الديوان أن أمل الجبوري هي " إميلي دكنسن الجديدة " وفي عام 1995 ، عندما قامت الشاعرة بترجمة " موت الحلاج " ، كأن شيئاً من الانخفاف الصوفي حل في ما كتبت بعد ذلك .

أما في مجموعتها الشعرية الجديدة " انخدوانا كاهنة الشتات " فإن صوتها الشعري يتميز بشحنة مفعمة بسيرتها الذاتية وفي الشخصيات التاريخية والأسطورية التي شكلت حضارة ما بين النهرين ، لا سيما شخصية " أنخدوانا " التي تعد أول شاعرة معروفة في العالم وهي ابنة الملك سرجون الأكدي وكاهنة معبد إله القمر ، كذلك رمز ((عشتار)) إلهة الحب

8

والحرب والخصب لدى البابليين القدامى ، هاتان الشخصيتان اللتان تقمصتهما أمل الجبوري برؤية اتسمت بالطابع " الصوفي . الميثولوجي " لتحل في شخص الأنا . الذات ، الأنا . الشاعرة .

كذلك تعزو إحياء " ((ملحمة كلكامش)) ، التي قمت بصوغها شعراً ، إلى بعض ما كتبت من نصوص في هذا الديوان في ما يتعلق ب " الصداقة والفقدان والفناء " .

¹ (*) هذا النص جزء من المقدمة التي كتبها الشاعر الأمريكي البروفيسور هربرت ميسن للترجمة الانكليزية والتي قام بها بالاشتراك مع البروفيسور صالح جواد الطعمة لهذه المجموعة .

البروفيسور هربرت ميسن واحد من الكتاب الكبار في امريكا ، شاعر وروائي وباحث . عُرف بأنه كان أحد التلامذة المقربين للمستشرق المعروف لويس ماسنيون، وقد عمل معه على اصدار كتاب عن " الحلاج وعقيدة التصوف " . كذلك قام بترجمة " اخبار الحلاج " من الفرنسية الى الانكليزية في مجلدات أربعة . إضافة الى ذلك ، فان اعلان صوغ الملحمة المعروفة ، " ملحمة كلكامش " ، صياغة شعرية حديثة جعلته ينال جائزة الكتاب الوطنية في امريكا . وقد ترجم هذا العمل سنة 1987 في بغداد ، حيث ترجمه حسن العمري نثراً ، والشاعر محسن عقراوي شعراً كلاسيكياً ، ووشح الكتاب برسومات الفنان راكان دبدوب . تخصص البروفيسور هربرت ميسن بأداب الشرق القديم ، وهو يعمل الآن أستاذاً للدراسات الشرقية والإسلامية في جامعة بوسطن .

وبصورة واضحة ، يبدو للقارئ أن الشاعرة امتلكت في هذه القصائد وعياً تاريخياً نفاذاً وصوراً مبتكرة على نسق الشعارين المعروفين ت.س. إليوت وبدر شاكر السياب . ومع ذلك ظل شعرها يحتفظ بالعدوبة والبساطة والحس الشخصي كما رأينا في شعرها المبكر . ذلك كله أضاف بُعداً آخر لصوتها الذي اتخذ من " موسيقى الأيقاع الداخلي " الذي يرتكز على جرس المفردة العربية ذاتها ليكون توأماً آخر لموسيقى التفعيلية العربية .

أوروك وأكد مدينتان واقعتان في عراقها الحبيب ، كذلك الآلهة والإلهات ، الأبطال والطغاة والذين أعطوا قناعاً وبعداً للتجربة المعاصرة .

أبياتها تفجر التطلع الصوفي الحلاجي للحبيب ، لكنه تصوف أخذ أبعاداً ميثولوجية ، كما أشرنا سابقاً ، وسط العالم المتوحش ومعاملة الآلهة القديمة ، حيث يوقعون بالبشرية خسارة الأصدقاء والمحبين .

كل ذلك أعطي من قبلها صوتاً متوقداً في الضياع و الشتات السوداوي لأطفال حضارتها والنفي البين للعاطفة ، تسمع صوتها الألم القديم يتردد خلال العصور في معاناة بلدها الحالية .

لقد أمسكت بالحنين الجارف والحزن الموغل في الروح العراقية ، وهي بذلك تكون صوتاً شعرياً جديراً بأن يحظى بالانتباه العالمي لا الانتباه العربي فحسب .

هربرت ميسن

بوسطن ، 1999

الإهداء

بلهفة

إلى أمي

كلما أبصرت فرح العجائز هنا

تذكرت حزن الأمهات هناك

.....

وبعتاب

إلى ((الآخرين))

الأقسى من الطغاة

ميونخ ، 1999

أنخدوانا ENHEDUANA

" قلب الحروب مليء بالخianات ، وقلبي مليء بالفراغ " ²

انخدوانا هي أول شاعرة معروفة في العالم ، عاشت سنة 2300 ق.م. ابنة الملك سرجون الاكدي ، اشتهرت كأول أميرة تشغل منصب الكاهنة العليا. جعلها اسمها الذي كان يوحي بالمعنى الكهنوي والملكي ، ومن خلال نفوذ أبيها ، تمثل آنذاك رمزاً دينياً وسياسياً في أور وأروروك ، وقد زوجت بين الدورين في قصائدها (تراتيلها) التي كانت بمثابة قداس في مديح (إنانا _ عشتار) إلهة الحرب والحب والخصب لدى البابليين والسومريين . وعندما نصبها والدها لتعمل ككاهنة عظمى لخدمة إله القمر (نانا . سن) في أور ، أعطاهم السلطات الدينية نفسها في مدينة الوركاء من أجل بسط نفوذه الأكدي على أهم المدن السومرية .

قد اعترف الباحثون ³ ، الذين نفضوا الغبار عن تلك التراتيل والمدائح التي قالتها بحق عشتار . بأن أنخدوانا أفردت لسلطة الآلهة _ الأم النفوذ المطلق في حق تقرير مصير البشر ، وهو الاعتراف نفسه الذي كان عرفاً تاريخياً ميز حكم سرجون . لقد كانت آلهة الدمار هي نفسها آلهة الخصب والقادرة على خلق التوازن الضروري للدخول إلى الحياة وإلى أروقة الموت منذ فجر السلطة الأنثوية التي حققت التناغم الأول الذي هو نقيض العنف .

قصائدها توصل لنا الحقيقة الروحية التي تشتمل عليها أوجه الحياة كافة (1) . ولقد كان أهم ختمين عثر عليهما المنقبون الآثاريون قد احتويا على اسمها وبعض من ملامح

² مقطع من قصيدة " سرير الوحشة " ، امل الجبوري ، 1993 ، والتي نشرت ضمن مجموعتها الشعرية الثانية: اعتقيني أيتها الكلمات، 1994 دار الشروق ، والطبعة الثانية من الهيئة المصرية للكتاب ، 1999 ، مصر.

³ The Exaltation of Inanna by William W. Hallo and J.J.A. VAN Dijk , 1963

ووجهها (الذي هُشم عمداً بعد نفيها من أور) وكانت ، كما يصفها المحللون ، امرأة يوحى
أنفها الحاد بالصدق واللهفة ، بالذكاء والشخصية المتفردة .. كذلك هو الفرع هو نفسه الذي
وشح نصوصها وإحساسها بالوحشة والغربة والوجع الذي سببته الأحقاد وإغراءات السلطة . .
. وقود الشراسة المسماة " الحروب " ⁴. لذلك اجمع النقاد ، الذين تناولوا آثارها الأدبية على أن
أنخدوانا هي أول امرأة _ شاعرة في فجر تاريخ العالم ، ناهضت الخيانة المسماة الحرب ...
لتستبدلها بتراتيل سومرية مليئة بالنواح وفتنة الألم بدءاً بـ " لعنة أوروك " ⁵ . وليس انتهاء بـ "
النفي من أور " ⁶ .

Women on War (Essential voices for the nuclear age), Edited by Daniela Gioseffi, 1965⁴

⁵ " لعنة أوروك " ، قصيدة انخدوانا

⁶ " النفي من أور " ، قصيدة أنخدوانا

I

"والآن أنا المنفية بين المجنومين
لا أقدر حتى أن أحيا معك

.....

.....

ووجهي الفاتن . . محض غبار "

أنخدوانا

II

" أنا الأول ، وأنا الآخر
أنا الزوجة ، وأنا العذراء

.....

أنا في عرس كبير ولم أتخذ زوجاً
أنا العروس وأنا العريس
زوجي من أنجبني
أنا أم أبي وأخت زوجي
وهو من نسلي " عشتار⁷

⁷ عشتار هي الهة الحب والخصب والحرب لدى البابليين.

III

" أنا ماكان وما هو كائن وما سوف يكون
وما من بشر قادر أن يرفع عني برقيعي "

الأم المصرية الكبرى

IV

" أي بعل بسببك أنت ، جللني العار
بسببك أنت ذقتُ السيفَ
بسببك أنت ذقتُ السيفَ
بسببك أنت وَرَدْتُ النارَ
بسببك أنت عرفت حجر الطاعون "

⁸ الاله موت بين عناة وحببيها بعل

الشّتات

" من يمضي في الأمام يحفظ صاحبه
من يعرف الطريق يحفظ صاحبه "
(ملحمة كلكامش)

أصدقائي

الذين رحلوا في الشّتات

لم يتركوا لي الوقت

لأخطئ للعناق الطويل ،

والقبلة الأكثر طولاً

والموت النبيل

أصدقائي

الذين تَوَهَّمْتُهُمْ طَوْقَ نِجَاةِ

كُنْتُ الْبَحْرَ أَنَا . . . كُنْتُ الْغَرِيقَ

كُنْتُ نَبْضَ الْمَسَافَةِ

التي طَلَّقَتْهَا الْوَدَاعَاتُ الْكَبِيرَةُ

وَخَانَهَا كَذِبُ الطَّرِيقِ

أصدقائي

الذين ما همّني كم تهمةً نسبوا لأسمي
وكم مكيدة طوعتها بمطرقة الشعر
وصالحتُ فيهم فراتاً جريحاً
وهو القلب الذي ودّع البلد
وضحك من أبكاه يوماً
هو الواحد الفرد . هكذا كان دوماً
أعزلَ دون أحد

أصدقائي

الذين غابوا في الغياب
أما من عاصفة لهذا الغيب
لهذا العتاب المرّ

...

العتاب حريقٌ والنبوءة حطب
من يطفئ نارَ الكلمات؟
الموت جثة الانتظار
يا غيا بكم ، أيها الانتظار . . لماذا قتلت
الفرح؟

قسوة المعنى استباحَتْ اللهفة
وراحتْ تبني من الوقت لَحْدَ العابرين
الحاملين صليب سَفَرِهِمْ سَفَرِ حطام
وخسارات لاكتْها طواحينُ الألم

أيتها الشوارع
التي تملأ فمي
أخرجي واخلي السبيل إلى خياره الملعون
لأخرسَ لساناً ينتصب مثل الشرطي
بين حلقي والقطيع

أصدقائي

الذين قادوا عُري الحقيقة
إلى حظوظ جرّدها سوء الطالع
كمئذنة نائمة في خوزة الأبد
واقتمسوا وليمة الغيوم مطراً كاذباً
ورعداً يصهل ببرقٍ مهزوم
السموات التي تزوجتموها . . كلُّها حبلى بي
يالشقاء الأرض التي ستلذني كلَّ يوم

مدناً ذبيحة وشعوباً مغلوبة

ورباً حجابهُ الشك ونبضهُ اليقين

أما من قلوب تتعافى المصائب فيها
وتنتشر طاعوناً على روح الوشائيات
وتحزم اللُّغُو بعيداً عن أذن الريح
ذات اليمين عليكم . . وذات الجنوب علي
لا صراخها أسكت عويل الآه من فم الندم
وشيخوخة الأسي

أصدقائي

يامن تركتم على جسر الهواء يداً

لأُمسكَ بقلبي

قلبي الذي ذرّفتموه دمعاً باردةً

كصقيع الروح ، وجفاف الأيام

ياربّي المتشاغل بوعيدك عني

أما زلت تسرج بالشعر ظلمة الضمير

وتخيطُ لهذا العالم ثوباً من أمل مثقوب

" لكنّها الدنيا التي وأدناها بالعيش "

وريشة أحلام منكسة الأعلام والنياشين
يالتهي عليكم
لهفة ملكٍ لصولجان أضاعه مع الريح
أهديكم أمومة هذا الوله
فزرروا بالكتمان . . بؤحكُم
الذي يهذي الخفافيش إلى ضلوع السر ،
والجنة المعلنة
في غربة طليقة ووطن سجين

الخيال الجريح
وأنا أتوكأ على حسراتكم
من الإبر المدسوسة في عشبي ،
ورغبتي ، في جدائي
وعزلي ،
شرودي ،
وكيمياء حزني ،
خيباتي ،
ويئثم قصائدي
أسطو على قسوتك أيها الكلام
وأرجيء هلاكي فيك مرارة سكوت واحد
أغرق جبروتك وأدعوك الشتات
أصدقائي
إني أعوم في الخراب
فمن يرفعني
من هذا الهجير إلى النسيان ،
من يعمدني بشهوة الموت ؟

بغداد ، في يوم ما ، 1997

دير البافاريين

أنا المنفية تحت أقدام الألب

...

...

لكن المنفى الذي تراه ،

ليس هو المنفى

ولستُ أنا من تسكن هذا الدير

ميونخ ، في يوم ما ، 1998

على حافة الفراق
" المرارة هي شيخوخة الحب "
الحلاج _ ميسن

يا غريمي
كدتُ أخترعُ لوجهك غير ما سميتك
شعراً أو مقصلة تشبه ليلاً برتقالياً ،
استعرتُ لونه ورحتُ تضلُّني بالانتظار
هكذا دون شهود
هكذا دون اعتراف (الجسد)
انه فجيرة الألم
الجسد مسجى على وجد دون حدود
غير خديعة الشرق
والرمال المتشابهة بوعود الرجال
أجادلُ احتضارك
وأشهُقُ بالخطيئة لأصلي
فكلُّ وداع إن لم يكن من جسد مقموع
لا يكون ذنباً يستحق النبوءة
وكلُّ عشق إن لم يكن بوابةً للجحيم
لا يكون جنوناً

يكون مجرّة في فضاء مخلوع
وعرشاً في حضن الطاغية
ونصراً من أبطال مهزومين

يا غريمي
أيها الجلاّد الأوحّد لقلبي
وأنا على حافة الفراق
أحاول أن أجرّك إلى قطع الأيام الممهورة بالندم
إلى مواعيد حنّطتها الذاكرة بشهوة النسيان
وسهواً . . سهواً
أحدّر الفصول بخرافة حلم مراوغ
كسلطان متوّج بالخذلان والحنين

على حافة الفراق
أحببتُ فوجدت صبراً العالم في حلقي
حين أمسكتُ _ كذباً _ وطناً سرياً هناك
حاقّ بي ومضى . .
كقابلة بدّثتها ريح شمال حزينه
ومواويل جنوبٍ موغل في المنية والكربلاء
على حافة الفراق
الفرح مشلولٌ وملوثٌ

وأنا أرفع تراتيلى إليك :-
ليس الفراق هزيمة ،
الهزيمة أن لا نفترق
أن نظلّ نلعب على شارع الوقت
نُمنّي عجزنا
بأنّا ما زلنا عاشقين
من حماقة آدم . . حتى آخر القُبل اليابسة

لأنى المبتلاةُ بتيه العالم
وموت البلاد
أديرُ الأيام عليك
أعدني إليّ بعدما التهمت جموحى
وقشرتني مثل تفاحة وشمثها الآلهة بالرجم
على حافة الفراق
السماء عاريةً من أشعة النجوم
والأرضُ عرجاء من رثاء الأصدقاء
يا غريمى
يا سهيلَ الحياة فى جسدى
جسدى
أينك ؟
الا مازلت مملوءاً بالذكريات والنكد
على حافة الألم
لوحث .. لوحث
لرغيف الحناجر المصابة بالحرية والوعد
لم تغد لي
لم أعد لك
منذ بعيد
ليتنى تخليثُ عنك

لأرمي كل ما كان
صوب جحيمك الأبله
وجنانك الفارغة

بغداد في يوم ما ، 1995

احتجاج

لماذا أُمَّتُه
وطَرَدَتْهُ
ثم لَعَنَتْهُ
فآدم لا يليق به السجود

آدم يا من خَرَّبْتَ حياتي
إسمع ، سيرجع الرب نادماً عن قراره
. . . ذات يوم
كيف صَيَّرَكَ الوصي . . النبي
القاتل الأَمْرَ
المالك و المملوك
الوالد والولد
وأنت .. أنت
لم تكن سوى زوجٍ أُخْذِيَةٍ ناقصة

ميونخ ، في يوم ما ، 1998

الغريبة

"جسمي الذي لَمَسْتَهُ وقلبك مبتهج ، تنهشه الحشراتُ كخرقة بالية

جسمي الذي لمسته وقلبك مبتهج (جثة) مليئة بالتراب !!"

انكيدو_كلكامش

أنا الغريبة

كيف الطريق يا أكّد

وجدرانُ بابل العصيةُ ،

قاسية .

أضواء نادبيها تنتهكُ ليلى

والمرائي تكسرُ صوتي

كيف الطريق إليكِ

وأنا ألعن التبرُّك بأضحيات العشاق

ياتعويذتي التي هَجَرْتَنِي وَهَجَرْتَنِي

مغلوبة بهذا التهجُّد

وأنا تي توقظ المسحورين بسحري

كيف الطريق ؟
وسور المدينة خصري
بابها وجهي
وهذي لغتي أسفار مهجورةً وقدَّاسٌ يتيم

لا

لا ترفعني إلى روحك
سأذوب في الأباطيل هناك
ونائحتي أني لا أسيء إليك
حينما آتيك ويدي خاويةٌ إلا
" من قلب يبكي على بابل كالقصب "
قائمٌ في المحنة .
بِمَ سأبني هيكلك أيها السيد النبيل
وأنا صلواتٌ عزلاء
وضراعةٌ مَضوا بها إلى الحزن .

أعيادي أباحوها سبايا وذرائع
أصرخُ فيك
لكنك ستعيدني إلى الموت ،
وتطاردني في الخراب الغريب
شفيعة .. غريبة

لم يبقَ عندي غيرُ هذا السرير (*)⁹
تئنُّ الوحشة فيه
ويغفو فوق جُنَّتِه الشَّتات

بغداد ، في يوم ما ، 1996

⁹ السرير : إشارة إلى قصيدة " سرير الوحشة " التي نشرت سنة 1993 ضمن الديوان الشعري الثاني للشاعرة أمل الجبوري :
اعتقيني أيتها الكلمات ، 1994 ، دار الشروق ، الأردن - عمان

غياب

" رؤيتي كالنهار تشرق وتنير ، غيبتني
كالليل تُوحِّشُ وتُجَهِّلُ "
النفري

وَضَعْتَ الخَلََّ في عسلي ،
قلْتُ لكَّ من قبل حادراً

أن تراني
. . . ففعلت
ثم غبتُ أنا في الرؤية
وبقيتَ أنتَ

ميونخ ، في يوم ما ، 1998

انخدوانا وغبوته

"يا أسمى حاكمةٍ على الدنيا
دعيني أبصرُ سرِّكَ في زرقَةِ خيمةِ السماء
المنصوبة ،
...
...
ومما يحمله إليك من شهوةٍ هوىً قدسيّ"

غبوته

كلانا مختلفان
كُنْتُ فكرتَ ونطقتَ بآياتك
وأنا وُلِدْتُ القصيدةَ ثم حبلتُ بالأفكار
فلماذا تلومني حينَ أُلِّمُ قبائلَ العشاق
والمنفيين إلى مدفنِ الأيام ،

وأنتَ ايقظتَ نساءً
حَبَسْتُهُنَّ أنا في قبو الهجير

جارحةً أنا أيها الغرب
لكن لا رهبانيةً في قلبي
غير أنني كاهنةُ الوجع العظيم
أجرُّ بلادك من أردانِ الكلام

(¹⁰وأنت تسحبني إلى " ديوانك الشرقي " *)
كلانا

يمشي على الحبل ذاته
لكننا نفترقُ صوب هاويتين

* * *

أفتحُ نوافذَ حروفك
وأجدُ نعشي في مرأثيك
سنواتي خيولٌ مكسورةٌ بحرابك

¹⁰ ديوان الشاعر الألماني الشهير غوته : الديوان الشرقي للمؤلف الغربي .

ولكن لا تكف عن الصهيل
أنا الغريبة في دارك
وسيدة العويل في داري
ماذا فعلت بي أيها الشرق
أحببتك فجلبت لي العار
ومسختني قطيعاً من شهرزادات عمياء
أسرقت كثيراً في الرقص على جسدي
أطعمتني شهوة الكواكب
في انخفاف البرق
ولكن ،
هذا كُلهُ
هذا كُلهُ
كان من وراء حجاب !!

ميونخ ، في يوم ما ، 1998

سطوة

أغمضُ عينيَّ
فيموتُ النهارُ
وحينَ أشمُّ حضورَكَ
يذوي الليلُ
أفتحُ أجفاني
وأطلقُ سراحَ الشمسِ

ميونخ ، 1999

" أنا امرأةٌ أرضية .. لا يليقُ بي غير الله "

"صح عند الناس أني عاشق غير ان لم يعرفوا
عشقي لمن "

محيي الدين بن عربي

خمسون ألف سنة عرَّجَتْ في جسدي
عاشرت في الشعر
أنزلت القمرَ البابلِي في خدي
وأضأت لي عتمة الناس
اصطفيتك _ صاحبي _
ورددت عليهم آياتهم
. . . بي ، أنا الريح

حلقتُ روحاً ووضعنتي على هامة النائحات
قبل أن أكون فريسة الأيام
ونفخت في هذا الألم .

حَمداً لذكراك
يَرُونكَ البعيدَ
وأراك هنا مهيمناً في وحشتي
أنتَ القريب
والمدى بوار

لك أسمائي كُلُّها
لاخوف عليّ
أتباهى بالأسفار
فخذُ سارةَ عني
لكَ هذا الجسدُ كُلُّه
فالاناجيل سَمَّنِي مريمَ العزلاء
إلا من سيفِ زَرَعَتُهُ في خاصرتي وَمَضَيْت
تُكْرِنِي
لأنام في كتابك الأخير ،
عائشة . . الهجرُ اسمي ،
والخطايا مساميرٌ من الآيات في .
الخرائنُ معلقةٌ بالصمت .

وهذا العالمُ ممزَّقٌ بسطوةِ عبيدك

آه من وهم لا يعرف أنه الجحيم ،
آه من عسلك الذي حَبَّأَتْهُ في نهد الشمس
وسالَ على العالمين في الأعالي
حرباً ووجداً ويأساً

...

الخواتم أفاعٍ تلتفُّ عليّ
لا تلبسني شهواتها
وادخلْ معي حيرة الإشارات
سيطوف بنا القدَّاس
لأحضن فيك بكاءَ الأشجار

حينما تصفحها العاصفة ،
وعواء الناس ،
وسؤال القبور .

إني أرفعكَ إلى الضحى
واللغات ترشفتني كما المطر
فلا أنت تشبع بالأنين ،
ولا أنا سيُغرقني السؤال .

حاذر ، يا صاحبي
حين يموء قلبي
تتعري تعاليمك بالحداد ،
وكأنها أشباحُ قامتْ تحملني أمامك ،
حاذر
أن يسقط هذا القلب
لأن السماواتِ ستذوي
وتذوب
فيما كتمت أنت
وُبُحتْ . .

ميونخ ، في يوم ما ، 1998

الخليقة

" وحدي أميلُ إلى فناء كلِّ ما قد خَلَقْتُ ،

...

وحدي ، أنا ، أبقى ...

...

خفية عن الأفهام "

الأم المصرية الكبرى

أيها العماء

يازوجي الغادر،

وابني المغدور

(التي شَدَدَتْ أضلاعها "أنا تعامة *)

بحبل " الروح القدس " ،

فأنجبتُ السماء الأولى

.

¹¹ (*) تعامة : هي الأم الأولى التي ترد باسم " هابور " في اسطورة التكوين البابلية . . وهي خالقة جميع الأشياء.

وحين امتزجنا بخميرة الحب
وَلَدْتُ لَكَ الْأَرْضَ .
فبَاعَدْنَا هَذَا الْهَوَاءَ
لَمْ أَعُدْ
- انا العذراء بعدك
- والعذراء بعدك
رَحِمَكَ الْمَمْلُوءَةُ بِالنَّارِ

ولا انت عُدت أنت

ميونخ ، في يوم ما ، 1998

ليس من أحد

" لم تبق هناك عين لتبكي على الأموات "

كلُّ شيء زوبعة
لا تدري متى تنفجر
كأني أموج بين أضلاعها وسوء العالم
كلُّ شيء آيلٌ للانطفاء
ثمة حريقٌ يتشكلُ في المصادفة
لكن المصابيح تنتظر أن تُسلمِ الضوء
للظلمة،

والثلج للذوبان
والأبدية للقلق
كلُّ ممرٍ يوحى إلينا بالفضة ،
والوقت يتركنا ،
ولكن ليس من احد .

غموضُ البحر يهزمني ،
وخرافةُ الشعارات تضللُ قلبي ،
فَتَحْجُرُنِي فِي حَنَاجِرَ لَيْسَتْ لِي ،
فِي مَقَابِرَ تَنَمُو بِالْأَصْدِقَاءِ .

المتاهاتُ يبأسُ ومنفى .
قلْتُ صاحبي
بَلَّنِي بِهَذَا الْبَلَدِ
لَا تَطْفُنِي بِيَأْسٍ مَجْهُولِ
فَالْحَزْنَ وَطُنَّ الْكَلِمَاتِ

أَعْطِنِي النسيان
أَرْجَمَكَ بِالذِّكْرِيَّاتِ

...

أَنَا لَمْ أَتَغَيَّرْ
هِيَ دَمْعَتِي الَّتِي تَحَجَّرَتْ ،

حِينَمَا آلَتْ إِلَى الْحَجَرِ
الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَجِيءُ وَتَصْرُخُ ،
تُعَارِضُ وَتُثَارُ ،
تَنْتَخِي وَتَخُونُ ،
كُلُّ شَيْءٍ آيْلٌ لِلْحَجَرِ .
عَصِيٌّ هَذَا الدَّمْعُ عَلَى الْجُنُونِ ،
عَلَى حِمَاقَاتِ الْعِشَاقِ ،
وَالْأَزْهَارِ الْمَأْخُوذَةِ بِرُومَانِسِيَّةِ أَفْقِ تَمَدَّنْ ،
وَأَقْمَارِ سُودِ ،

وَيَدِ رَطْبَةٍ مِنْ حَرَارَةِ مَايْفِضِي الْحَنِينِ إِلَيْكَ ،
كُلُّ شَيْءٍ إِلَيْكَ .
كُلُّ شَيْءٍ جَارِفٌ ،
حَتَّى الْعِشْبُ تَعَالَى عَلَى خَضْرَى قَلْبِي
وَاعْتَلَى الرَّمَادُ لِأَنَّ الْأَرْضَ غَيْرَ مُتَأَلِّقَةٍ ،
مُحْتَرِقَةٍ بِالنَّهَارِ ،
بِالْحِمَاقَةِ الَّتِي وُلِدَتْ فِي صَحْنِ تَرْقُبِي
... قِصَائِدٌ لَا تَنَاسِبُ حِجْمَ الْهَزَائِمِ ،
وَوَهْمِ الْحَرِيَّةِ . . .
الْحَرِيَّةُ هَذِهِ الْغَجْرِيَّةُ ،

أَسَلَمْتُ لِلرِّيحِ سَاقِيهَا ،
حِينَ تَسْلَلُ إِلَى مَعْبَدِهَا سِوَايَ .
أَنْتِ السَّلْوَانُ وَالْعَتَابُ مَرْمَرُ ،
أَنْتِ الْخَدِيعَةُ وَالصَّخْبُ ،
أَخَذَكِ السَّجْنَ وَسَمِينَاةَ الدَّوْلَةِ
أَخَذَكِ الْمَوْتَ وَسَمِينَاةَ الْحَزَنِ الْمَقِيمِ
وَتَكْبُرِينَ
طَاغِيَةً فِي صَبَاحٍ لَا يَصْدَأُ ،
وَسَمَاءٍ بِلَا حُودٍ

وَفِي مَا تَبْقَى مِنَ الْحَدَادِ ،
وَمَنْ عَطَشَ يَشْرِبُنِي حَتَّى الْفِرَاتِ الْأَخِيرِ .
كُلُّ شَيْءٍ آيِلٌ لِلسَّقُوطِ . . .

الماءُ ،
والسماءُ ،
القبرُ ،
والفجرُ ،
العمرُ وما مضى
والقلبُ المثقوبُ بحشْرَجَةِ الْأَطْفَالِ ،
حَتَّى الْأَطْفَالِ هُنَاكَ
سَقَطُوا فِي الْجُوعِ وَالكَآبَةِ . . .
كُلُّ شَيْءٍ انْطَفَأَ
فِي غُرَيِّ شَفَاعَاتٍ خَاسِرَةٍ
تَدَسُّ فِي جَسَدِي النَّدَمِ
لِأَشْيَاءٍ جَدِيدٍ عِنْدِي الْآنَ ،
فَإِذَا مَا جَاءَ هَرَبُ
لَأَنَّ الْحُرُوبَ الَّتِي احْتَوَتْنِي

ضَيِّعَنِي
لأن الحروب التي ضَيِّعَتْنِي . . . أَكَلَتْنِي

عمان ، في يوم ما ،
شهر آب / أغسطس 1995

احتمالات

قد

تدور الأصابعُ في مزلاج الغروب ،
لكنَّ الأبوابَ سماءَ طَلَّقَها الفجر

قد

تُهاجرُ القبورُ بعيداً عن شواهدِها ،
لكن الله يعيدها إلى بيت طاعته .

قد

أتوقُّ للقيدِ معك ،
لكن الحريةَ توقظني منك .

قد

أغادر شيخوخةَ بلدتي ،
لكن الوجوهَ تحملني إلى منفى لن يكون .

قد

أطالعُ وجعي في شعبي المستباح ،
لكن القوائد تذكّرني بحق لن يعود .

بغداد ، في يوم ما ، 1995

الكاهن

" اجعلني كخاتمٍ على قلبك
كخاتم على ساعدك
لأن المحبة قوية كالموت "

عشتار

صوتك الذي يحملك ،
يأخذني إلى الباحة المفتوحة في الصراعات
ثمة أقاويلٌ وجندٌ ومقصلة ،
ورأسي الراصد والمرصود .
أخبرك بهجرٍ أكذ
فالكهانة سرٌّ وأنت قارئ الإشارات .
الكاهنة لا تريد ضياعَ غموضها .

غير أنك تجيء بي ،
إلى شرفتك النائبة .
صوتُ كلماتك أوركسترا تضيء أعصابَ
الزمان .

ياكاهنَ الشعر ،
هي أنخدوانا التي ضلّوها
بشدّ ثوبها إلى المديح

حروب أبيها العقيمة

لكن جسدها ظلَّ يستديرُ بتعاليمك البهية
صَحَّحَتْ في كتبك مسارَ الأَقمارِ والرَّقَمِ التائهة
واهديتَ إلى " نجمة المناحة "
هاهو تاجي يطلع من مملكةٍ منهوبة ،
في سبات المتاحف .
أور ،
قبر عشتار . . .

عشتارُ فاضتْ أَدَاءُ البلدان بالعسل
عندما أيقَظت رَحِمَهَا بك ،
هي مريمُك وامرأتُك ،
إِهْتِك الحمقاء ،
وراعيةُ النواح في أرضِك .
ياحارسِ نواميسِ الكلمات ،

وكاهنَ الأرضِ الغريبة .
في معبدي القَفْرِ
الطيورُ ،
القلوبُ الذابِلة ،
المزاميرُ ،
ترانيمُ الخلاص ،
جهشاتُ رُوحِي ،
وكلُّ مافي طاعةِ العذارى من حشمةِ الملذات ،
والأحلامِ المكسوة بالقلق ،

هذا كُلهُ
هذا كُلهُ

يمشي وراءك

ميونخ ، 1998

وشم النجوم الساقطة

مازجَني الحروفُ

لكن الكلام قيدي ومحبسي

.. بحث ..

لكن دمي أنكر ماكان حدَّ القطيعة ،

حدَّ انقطاع الحنين وصيانتته من العطب ،

حدَّ اختلاس المواعيد .

لا أناقهُ الحروف روضتُ طريقي

ولاطقسُ الغربة وتباطؤُ الخروج من العناق

ضيّع ماكان .

هياتُ عمري

لكن العروش التي نَحَتَّ الأوطان

قطيعاً من صروح وأضرحةٍ

موزعةٍ ثقباً .. نُقباً ،

صَيَّعَني . . .

والحروفُ التي جَرَدَتْها الحروب من

ساكنيها ،

ومشرعيها ومشرديها ،

وأشجار الفرع المتساقط بين أبراجي وأولئك

الذين فتحوا للخيبة ممراً نتواري اليه . .

كُلُّ ذلك . .

وكان الصبر مجون ،

والكبرياء أشباحُ ريح ،

وتاريخٌ مثيرٌ لشبهاتٍ تنحني لتميمة الجسد .
كأنَّ مايجعلنا نموت
هو وَشْمُ النجوم الساقطة
والشمسُ التي تَفَوَّتْ على عذرية السواد
ياالفضيحتي التي لم تُدْرِكْ ،
أن الانتصار مُعَلَّقٌ
والهزيمة مفتوحةٌ لوطن يولد حقاً ،
أو يموت الآن بغير حق .
قاتمٌ بياض الهزائم ،
وقاتمة هي الدروب المسجاة في توابيت المدّاحين .
ولو على بُعْدٍ مرمى من هذا اليأس . . .
قلتُ انكسرتُ ،
لكنني سأنكسر
جمرةٌ تطفئُ كذبَ الصولجان
وكذبَ الكلمات

بغداد ، في يوم ما ، 1994

(2ننشوبار *)

" الى القمر يجب ان يرفع رأسه ذلك الغارق في الخطايا "

لستُ تلك الشمس ،
فلا تنتظرني في الزمان ذاته .
لستُ الرتابة والقَدَر الواحد
ولا العشق الأوحد والجَنَّة الواحدة ،
أو هذا الحريق .
ننشوبار ، يارسولي إلى عالم الأسرار
أيها الوفيّ ،
كدمع العشاق والآثمين .
أنا القمرُ المتبدّلُ كروح السماء ،
أقداري السبعةُ وشَمْتُ وجه الليل بالزوابع .
وكأني لا اموت
أنحني سهماً على شهواتك ،

التي تركض ورائي الى بوابات الندم ،
ونار المجهول
كلما أثارتنني الحياة ،
رَميْتُ حجابي ومنحْتُ كَفِّي للمستحيل .
قلْتُ أنا الوعي والموت
وتدّ مغروسة في قلبك . .
فهلأ نسيّنتي ؟

¹² (*) ننشوبار : تابع عشتار ، وقد صار في ما بعد رسول الآلهة السومرية والبابلية ، وانتقل إلى اليونان تحت اسم هرمز

ياحارس أكوابي وصندوق جثماني ،
رُدني إلى الجحيم لأصنع خبز صداقة لن تدوم .
كن رحيماً بي أيها السواد
فالضوء فضّتي المعزولة .
أحمِلْ عني
شفيعاً لن تحمله عيناى ،
شفيعاً لن يحصد . . .
بمنجلِ أناشيدهِ
غيرَ خلاص الجنون
وهزيمة هذا الإرث

ميونخ ، 1998

تقاسيم على وتر الوحشة

- 1 -

أقدارنا كلابٌ
تجرُّنا إلى الحتف
متوهِّمين البلادَ . . بلاداً
فلا النخيلُ كان راياتِ الحداد
ولا الإلهُ يصحو
ولا العمرُ يُورِقُ من جديد

- 2 -

أيها النوم . . .
تعال وهشِّمِ رأسَ الأرق

-3-

تحت سماء الطاولَة
الحاضرون - غائبون
تاركينَ لنا متاعَ السرد
في ساقينِ تتناوبان المشهدَ ، وقيامَةَ الجسد
في لحظةٍ مهشمة

-4-

سافرَ أنفي ليشمَّ المكانَ بعدك
لكنه غطَّ في منفي عقيم

-5-

حتى متى
أديرُ العناقَ
إلى الفراقِ ؟

في يوم ما ، 1995

الخسارات

لم ،

أنتم إلا الى الخسارات

لم

أسرق الشمس إلا لأَسْقِطَ الليل

لم

أحلم إلا بقفص مُشَرَّعةً أبوابه

لم

أصف حسابي مع الحنين

الا لِغِنِ الذكريات

لم

أهدم غير قلوب

ضَيَّعْتَنِي فِي الزحام

لم

أفتح فمي إلا لشارع غَضَّتْ به شفتاي

لم

تصالحني القصائد

إلا حينما ذُبلَ صوتي

وماتت يدي

بغداد ، في يوم ما ، 1995

وريشة قلبك في الشدائد

" من الذي أتى بك .. إلى الطريق الذي لا يرجع

منه مسافر ، كيف حَقَزَكَ

قلبك ؟

(¹³ نيتي *)

أيها الماء ،

ياخُضِرَةَ الناس ،

كُنْ صاحبي .

الشموعُ المنقوعةُ في شفاعاتك

يدخلنَ محرابَ القناعة

(¹⁴ يطلعنَ من عيون الخضر *)

كُنْ عُدُوي

أنا الطالعة من الكوايبس

-سيدة لجميع الأحزان -

الخرابُ تَرَبَّعَ على هامتي

، تاجاً ،

ومريداً للحبِّ والحرب

وما يتَّسع بينهما من صلاة الوداع الأخير .

على سَنَةِ الشعر ورسوله الآس

زَوَّجْتَنِي الأرواح للموت

لأحمل القحطَ والليل ،

¹³ نيتي : وهو كبير حجاب العالم الأسفل . . وهو هنا يحاور / إنانا - عشتار / وهي تصل بوابة الظلمات في العالم الأسفل .
¹⁴ الخضر : وهو مارجور جيوس الأخضر في التراث الشعبي المسيحي والنبى الخضر في التراث الشعبي الاسلامي - يعتقد ان مقامه في ماء دجلة ، لذلك يقوم بعض الناس بحمل أوان توضع فيها الشموع وشجر الآس تذهب بعيداً في النهر طلباً للشفاعة .

أجمع ما تبقى من بُحَّةِ العويل ،
معي هناك
أشدُّ على كاهن الأوجاع أناشيدي :-
انا وريثة قلبك في الشدائد
وأنت وريثي في البقاء
لست بكلكامش
ولست بعشتار
كُنْ طريدي
لأغسل بالفرائين ثوبَ الهجر ،
وأرميكَ للشهقات .

أيها الآس
ياجنائن مُعَلَّقةً على روعي
أقمارك ناموس عرسي ،
تَجُرُّ ثوبي الذي يطير ولا يصل
إلى ما حَرَّبْتُهُ يداك
لا يَفْقَهُ حدس الأولياء
لأنني منهارة في هذا العماء
سَلَمْتُ بابل كَفَّ هذا المطر :-
مطرٌ للسبايا
مطرٌ للغياب ،
يتساقط المطران ،
مطرٌ يجثو على الأوراق ،
أوراقٌ تمسك بنا ،
فننكفي خَطَّينِ متوازيين على كَفِّ
الزمان .
الكؤوس ممتلئة بماء أحزاني
وأقداحك فارغة إلا من الهديان
فَعُدْ أيها الشفيح ،

لأمتي الجسد بقمح يحمل فوهة

الفجر .

لاشيء يكتبني الآن . . .

غير بهاء العري المكفن ،

بنذور الانتظار ،

وأدعية الحرقه .

لاشيء غير الماء ،

يعمّدي بالنسيان

يُطلقُ أغلالَ شغري وشغري ،

ويُسقطُ عني حجابَ الروح .

مُدَّ صهيلك أيها الماء إلى

محرابي ،

اكشفْ مخبوءَ ملامة أضناها

الجسد ،

وسلّطها الشعر عليّ .

من قال ان السواد يأس ؟

- السوادُ مصالحة الانهيار

وانا سواد القضية التي لاتموت

من قال ان الحزن تذكرة ؟

- الحزنُ ذاكرة -

وأنا ذاكرة الذين مضوا ،

والذين لم يسرقوني بعد .

_ الحزن صلاة

وأنا تراتيلُ مسافرة على رِق

مهجور

_ الحزن جمال الخيبة

وأنا المتوّجةُ بخيبات أقدار ،

وَيَدَيْنِ مَلَطَّتَيْنِ بِالْحَبِّ الْأَوَّلِ

وَالْقَاتِلِ الْأَخِيرِ

أُنْجَبَا تَحْتَ قُبَّةِ النَّخِيلِ ،

قَسَمَ النَّسِيَانَ وَوَشَمَ أُرُوكَ .

أُرُوكُ لَصِيقَ رُوحِي

مَدَّتْ مَشِيئَتَهَا

على سريري - قبري المفتوح

، على السواد ،

والاحزان ،

والعشاق المتناثرين في الوحشة

.

طارت أنفاسها

عادتْ إلى ترابٍ ما كانت عليه

، وحلَّقَ قلبي في البعيد ،

انسابَ رحيلي تعاويذَ

تَجُرُّ المغلوبين ،

الجبالَ والقلاع ،

الندم والضياح ،

في أفقِ نهرِ صديق .

أغوص في جسد المارة

، ويقوم شعبي على وجه الماء ،

رافعين صمتهم

، يبحثون في موتِ عشتار ،

غياب الخضر ،

رأسِ المعمدان ،

ووهم كلكامش ،

عن موسم الخلاص .

أيها الخلاص
خُذْ جَسَدِي
لِأَفْرَغَ قَلْبَهُ مِنْ حَقْدِ الْآلِهَةِ
وَأَتُوبُ عَلَى عَيْنِيهِ ،
وَقِيَامَةَ الشُّعُوبِ .
أيها الناس ،
أَمْطِرْكُمْ كُلَّ يَوْمٍ بِالْحَبِّ
لَكِنَّ شَفَاعَتِي مُؤَجَّلَةٌ
لَأَنَّكُمْ لَمْ تُولِدُوا . .
وَأَنَا لَمْ أَمْتْ بَعْدَ

بغداد ، 16 / 8 / 1995

أناجيل الطغاة

"يرتفعُ اليكِ صراخِ البشرِ
هلعاً من رياحِ الجنوبِ العاتيةِ
يُغولونَ أمامكِ وينتحبونَ في الطرقاتِ في غمارِ الحربِ ،
كلُّ شيءٍ تكوّمُ حطاماً عندكِ "

أنخدوانا

حان الوقتُ
أيتها الأبراجِ لتتركي جسدَ السوادِ ،
ارضِ التنهداتِ .
يكفي ما حرثتِ من الأمواتِ
وأنتِ تجترينِ المكائدِ والنهاراتِ المتفسخةِ .
حان الوقتُ ،
ليملأ عروقي المتهدّلةً بالندمِ . . .
على مافاتِ من قلبي المهجورِ
في معهدِ البافاريينِ ،
مثل قمرٍ خانهِ ضبابٌ عابرِ .

أيتها الأبراجِ
لا عاصمَ غيرِ صمتي
إرحلي ،
إفعلي ما شئتِ ،
ضّعيني فوقَ فمِ الريحِ ،

وَزَّعِي لَذَّتِي عَلَى خَارِطَةِ الْغَيْومِ
وَالوَشَايَاتِ ،
قَوْلِي مَا شئتِ
هَا هَنَا مَرَّتْ . . هَاهُنَا رَقَدَتْ
يَصْرخُ فِي ضَمِيرِهَا الْجَانُ ،
فِي شَفْتَيْهَا حَدُودُ أُورُوكٍ وَسِرُّ أَكْدِ ،
فِي جَسَدِهَا كُلِّ الْجَنَائِنِ الْمَعذِبَةِ .
فِي تَاجِ النُّكْبَاتِ ،
لَمْ تَكُنْ سِوَى دُرَّةٍ سَرَجُونٍ وَكَاهِنَةِ الشَّتَاتِ
قَوْلِي وَلَا تَنْسِي فِي أَلْوَاكِ الْمَلْعُونَةِ
أَنْ قَلْبَ أَنْخَدَوَانَا
كَانَ أَكْبَرَ مِنْ أَنْجِيلِ الطَّغَاةِ

ميونخ ، في يوم ما ، 1998

الفناء

" لقد تسلل البلى إلى اطرافي
وأينما ادرت وجهي ، ارى الموت "

كلكامش

ياموث

ياناهب الأساطير ،

الكل مهزوم وأنت المتوج الوحيد.

لا تفض بكارة عمري . . .

ماذا ستفعل ببئر لا ترتوي بغير الظمأ

ماذا ستصنع بجسد لا يثمر غير القحط ؟

لست انا لتقترب مني ديدانك

فلماذا إذن

ثميتني أيها الموت ؟

ميونخ ، 1999

صدر هذا الكتاب بطبعته الأولى من دار الساقى عام 1999، ثم صدر بطبعة ثانية عام 2000
من نفس الدار ببيروت - لبنان. حاز على الجائزة الفضية لأجمل كتاب في دورة معرض
الكتاب ببيروت عام 1999.